الجذر "ك ف ر" في القرآن الكريم: دراسة دلالية صرفية سياقية*

The root "ك ف ر" in the Holy Quran

A contextual semantic and morphological study

نعمان لطفي عبده

طالب ماجستير بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة (مصر)

numan088@gmail.com

ملخص

تكشف هذه الدراسة عن الدلالات المعجمية للجذر "ك ف ر" في السياقات القرآنية، من خلال استقراء المشتقات المأخوذة منه في كل السياقات القرآنية تقريبا، وعلى ضوء المادة اللغوية المعجمية الموجودة في كتب اللغة والتفاسير، مع بيان الصيغ الصرفية والمشتقات الواردة منه في القرآن الكريم، ودلالة هذه الصيغ، وتعرضت الدراسة لشيء من الخلاف الواقع بين العلماء في بعض الدلالات المعجمية أو الصرفية، مع ترجيح ما رأته راجحا كلما أمكن ذلك.

الكلمات المفاتيح: الكفر، التغطية والستر، الجحود والإنكار، التكذيب، المحو والإزالة.

Abstract

This study reveals the lexical connotations of the root "ك ف ر" in the Qur'anic contexts, by extrapolating the derivatives taken from it in almost all the Qur'anic contexts, and in the light of the lexical linguistic material found in language books and interpretations, with an indication of the morphological forms and derivatives contained in the Holy Qur'an, and the significance of these formulas, The study was exposed to some disagreement among scholars in some lexical or morphological indications, with the weighting of what it saw as more likely whenever possible.

تاريخ استلام البحث: 2023/2/11	تاريخ قبول البحث: 2023/04/22	تاريخ النشر: 2023/05/15

Keywords: disbelief, covering and concealment, denial, covering, erasure and removal.

مقدمة

هذه دراسة دلالية صرفية للجذر "ك ف ر" في السياقات القرآنية المختلفة، حاولت أن أبين فيها دلالات هذا الجذر، وبعض الصيغ الصرفية التي وردت منه، ودلالة بعض الصيغ، وما وقع فيها من خلاف بين العلماء، وكان ما لفت انتباهي أن معظم من تناول لفظ الكفر وقف عند معنيين له: التغطية والستر، والجحود والإنكار، بل قصر بعضهم معنى الجذر على التغطية والستر فحسب، كابن فارس[1]، وابن الأثير[2].

فقمت باستقراء الجذر (ك ف ر) ومشتقاته في السياقات الواردة في القرآن الكريم، في ضوء المادة اللغوية المعجمية التي حفظتها لنا كتب اللغة والتفسير.

ظواهر صرفية للجذر "ك ف ر" في القرآن الكريم:

تجدر الإشارة إلى أنه قد جاء في القرآن الكريم من هذا الجذر الفعل بأنواعه المختلفة، فقد جاء منه: المجرد (كَفَرَ)، والمزيد بالهمزة (أَكْفَرَ)، والمزيد بالتضعيف (كَفَّرَ)، كما جاء هذا الجذر في الأزمنة الثلاث: الماضي (كَفَرَ، أَكْفَرَ، كَفَّرَ)، والمضارع (يَكْفُرُ، يُكَفِّرُ)، والأمر (اكْفُرْ، كَفِّرْ)، وجاء مسندًا إلى الأسماء الظاهرة، وإلى الضمائر المتصلة، وإلى الضمائر المستترة، كما جاء مبنيا للفاعل، ومبنيا للمفعول (كُفِرَ، يُكْفَرُوهُ)، وجاء لازما، كما جاء متعديا لمفعول واحد، ومتعديا لمفعولين، ومتعديا بحرف الجر.

ولم يجئ من جمعي السلامة من الجذر (ك ف ر) في القرآن غير جمع المذكر السالم، وقد جاء هذا الجمع بصورتيه: فقد لحقته الواو والنون في حالة الرفع (كافرون)، وأما في حالتي النصب والجر فقد لحقته الياء والنون (كافرين).

وجاء من جموع التكسير أربع كلمات: ثلاث منها متفق على كونها جموعا، وهي: كُفَّار، وكَفَرَة، وكَوَافِر، وأما كُفُور، فقد ذهب الأخفش إلى أنه جمع الكُفْر، مثل: بُرْد وبُرود[3]، وذهب غيره إلى أنه مصدر، قال الراغب الأصفهاني: "(والكُفْران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكُفْر في الدين أكثر، والكُفُور فيهما جميعا)[4].

وصيغ جموع التكسير الواردة كلها صيغت للدلالة على جمع الكثرة: (فُعَّال، فَعَلة، فَوَاعل، فُعُول)، وثلاث من هذه الصيغ تطرد في جمع المفرد المذكر العاقل، ف (فَعَلة، وفُعَّال) يطردان في وصفٍ مذكر عاقل على وزن (فاعِل)، ككاتب وكَتَبة، وساحر وسَحَرة، وكافر وكَفَرة، وصائم وصُوَّام، وقارئ وقُرَّاء، وكافر وكُفَّار، وأما (فُعُول) فيطرد في اسم ثلاثي ساكن الوسط، مثل: كَعْب وكُعُوب، وجُنْد وجُنُود، وبُرْد وبُرود، وكُفْر وكُفُور، ولهذا ذهب الأخفش إلى أن كُفُور جمع كُفْر.

وانفرد من هذه الألفاظ الأربعة بجمع المؤنث صيغة (فَوَاعِل) التي تطرد في جمع (فاعِلة) اسما أو صفة، مثل: ناصية ونَوَاصٍ، وصاحبة وصَوَاحِب، وكافرة وكَوَافِر، كما أنها انفردت من بين الصيغ الثلاث بأنها من صيغ منتهى الجموع.

وقد ورد كل من (كَفَرة) و(كَوَافِر) مرة واحدة، فقد وردت الأولى في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، [عبس: 42]. والأخيرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، [الممتحنة: 10].

كما يلاحظ أنه لم يأتِ من صيغ المبالغة من هذا الجذر إلا صيغتان فقط، هما: كَفَّار، كَفُور، وقد جعل الراغب الأصفهاني[5] (الكَفَّار) أبلغ من (الكَفور)، وتبعه على ذلك الفيروز آبادي[6]، واستدل الأصفهاني على ما ذهب إليه بعدة آيات، منها قوله: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾، [ق: 24]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، [البقرة: 276]، وكما يرى أن (الكَفَّار) أُجْرِيَ مجرى (الكَفور) في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، [إبراهيم: 34].

واعترض السمين الحلبي[7] على ما ذهب إليه الأصفهاني بأمرين:

الأول: أن أمثلة المبالغة لا يقع التفاضل بين شيء منها، وأن الأصفهاني توهم الأبلغية في (كفار) من وصفه بـ(عنيد)، وتوهم المساواة بينهما من انضمام (ظلوم) إلى (كفار)، فلما جاور فَعول فعَّالا كان بمعناه.

الثاني: أن ما ادعاه الأصفهاني ليس بأولى من عكسه، وقد يعترض عليه بخلاف ما ذهب إليه، فيقال: إن (كفور) أبلغ من (كفار)، وأن (فَعولًا) قد يأتي بمعنى (فعّال) لمجاورته له.

وحقيقة يبدو أن جزءا مما قاله السمين الحلبي لم يقصده الأصفهاني أصلا، بل الوهم فيه راجع إلى السمين لا إلى الأصفهاني؛ فإن الكفور - عند الأصفهاني - هو المبالغ في كفران النعمة[8]، ولما كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، [إبراهيم: 34]، آتيا في أعقاب تعداد نعم الله تعالى على الإنسان، كان المتوقع حينئذ أن تختم الآية بـ(ظلوم كفور)، ومن هنا ذهب الأصفهاني إلى أن (الكَفَّار) أُجْرِيَ في الآية مجرى (الكَفور)، ومن هنا يمكن فهم الأبلغية في قول الأصفهاني؛ فالكَفَّار أبلغ من حيث إنه لا يسمى به المؤمن كافر النعمة، بخلاف الكَفور، فإنه يسمى به المؤمن والكافر، فالأبلغية هنا من حيث اختلاف الجهة.

وقريب من قول الراغب قول الأمير الصنعاني في (الغفور) و(الغفار)؛ فإنه قال: ((الغفور) كثير المغفرة وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، والغفار أبلغ منه، وقيل: المبالغة في (الغفور) من جهة الكيفية، وفي (الغفار) من جهة الكمية)[9].

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: (كل شيء في القرآن ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، [الحج: 66] يعني به الكُفَّار)[10]، وقد تبعه أبو البقاء الكفوي فنقل نص عبارته تقريبا مع تغيير طفيف[11]. وقد روي ذلك عن ابن عباس، كما روي عنه أن المراد جماعة من المشركين، هم: الأسود بن عبد الأسد، وأبو جهل، وأبو العاص، وأبيٌّ بن خلف[12]، لكن الأولى حمل اللفظ في الآية على جنس الإنسان؛ إذ الآية تشير إلى صفة جبلية مركوزة في الفطر البشرية، وهي عدم شكر الإنسان للمنعم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، [سبأ: 13]، وقد قال الرازي بعد إيراد قول ابن عباس: (والأولى تعميمه في جميع المنكرين). وقال أبو حيان عقب قول ابن عباس: (وهذا على طريق التمثيل).

وقد أشار كثير من المفسرين إلى أن المراد جنس الإنسان، قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، [الحج: 66]: (يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه: من حُسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرّ والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له)[13].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾، قال البقاعي: (﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أي هذا النوع ﴿كَفُورًا﴾، أي: بليغ التغطية لما حقه أن يشهر، فأظهر في موضع الإضمار تنبيها على أن هذا الوصف لا يخصهم، بل يعم هذا النوع لطبعه على النقائص، إلا من أخلصه الله له)[14].

وقال ابن عطية: (وقوله: ﴿كَفُورًا﴾ أي بالنعم. والإنسان هنا للجنس، وكل أحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب)[15].

المعاني الدلالية للجذر "ك ف ر" في القرآن الكريم:

عند البحث في كتب التفاسير أو المعاجم اللغوية عن معاني الجذر (ك ف ر)، فإن أول ما يلفت الانتباه أن معظم من تناول لفظ الكفر وقف عند معنيين له: التغطية والستر، والجحود والإنكار، وقصر بعضهم معنى الجذر على التغطية والستر فحسب، كما فعل ابن فارس في مقاييس اللغة حين قال: (الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية)[16]. كما أشار ابن الأثير إلى أن أصل الكفر هو تغطية الشيء تغطية تستهلكه[17].

وباستقراء الجذر (كفر) ومشتقاته في السياقات الواردة في القرآن، في ضوء المادة اللغوية المعجمية والإشارات الموجودة في كتب التفاسير، فإننا نحصل على بعض المعاني والدلالات الأخرى، يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

1. نقيض الإيمان:

يأتي لفظ الكفر نقيضًا للإيمان من حيث الدلالة، كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، [البقرة: 253].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، [التغابن: 2].

ويجيء اللفظ بهذا المعنى لازما بغير حرف جر، للإشارة إلى إثبات الصفة دون ذكر متعلقها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾، [غافر: 4].

كما يجيء متعديا بالباء مقرونًا بمتعلقه، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، [النساء: 136].
- وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: 256].

2. الجحود والإنكار

كما يجيء لفظ الكفر بمعنى الجحود، وهو ثلاثة أنواع:

أ. جحود النعمة، وهو نقيض الشكر[18]، ويقال: كافَرَه حقه أي جحده وأنكره، ورجل مُكَفَّر: مجحود النعمة مع إحسانه[19]، ومن الآيات التي ورد فيها بهذا المعنى:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، [إبراهيم: 7].
- وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، [النمل: 40].

ب. جحود العمل، وهو تضييع أجره وعدم الإثابة عليه، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾، [آل عمران: 115]. قال الكفوي: (أي: فلن يحرموه، فعُدِّي إلى اثنين)[20]. والأول من المفعولين هو نائب الفاعل، والثاني هو الضمير العائد على "الخير".
- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾، [الأنبياء: 94].

ج. التكذيب، وهو الإقرار بالقلب وعدم الاعتراف باللسان، ومنه:

- قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾، [البقرة: 89].
- وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾، [القصص: 48]، قال الجوهري: أي جاحدون[21].

تعليق:

جاء من الجذر "ك ف ر" ثلاثة مصادر من الفعل المجرد، وهي: الكُفْر، والكُفْرَان، والكُفُور، وذهب الأخفش إلى أن الكُفُور جمع الكُفْر، مثل: بُرْد وبُرود[22]، وذهب غيره إلى أنه مصدر، قال الراغب الأصفهاني: (والكُفْران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكُفْر في الدين أكثر، والكُفُور فيهما جميعا)[23]. وتبعه السمين الحلبي[24]، والفيروز آبادي[25]، وأبو البقاء الكفوي[26].

و"الكفر" أكثر ورودا من المصدرين الآخرين، فقد جاء "الكُفْران" مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾، [الأنبياء: 94].

وأما "الكُفُور" فقد جاء في ثلاثة مواضع، هي:

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾، [الإسراء: 89].
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾، [الإسراء: 99].
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، [الفرقان: 48 - 50].

وقال الكفوي في كلياته: (والكفر ضد الإيمان يتعدى بالباء نحو: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، [البقرة: 256]، وضد الشكر يتعدى بنفسه يقال: كفره كُفُورًا أي: كُفْرانًا، ويقال: كفر المنعمَ والنعمةَ، ولا يقال: كفر بالمنعم والنعمة)[27].

وهذا الرأي يحتاج إلى إعادة النظر، ويمكن أن يقال إنه حكم أغلبي، ويجوز خلافه؛ فقد جاءت بعض الآيات بخلاف هذا الحكم، فقد جاء الكفر الذي هو ضد الإيمان متعديًا بنفسه، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، [هود: 60].
- وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾، [هود: 68].

قال الطبري: (يقال: كفر فلان ربَّه وكفر بربه، وشكرت لك، وشكرتك)[28]. ثم أشار بصيغة التمريض إلى إمكان حمل الكفر هنا على كفر النعمة، فقال: (وقيل: إن معنى (كفروا ربهم)، كفروا نعمةَ ربهم)[29].

- وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ(13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾، [القمر: 13 - 14]. فقد بني الفعل لما لم يسمَّ فاعله، وهو الضمير العائد على اسم "كان"، وكان حقه عند البناء للمعلوم أن يكون مفعولًا به، أي: كَفَرُوه، أي: كفروا به.

كما جاء الكفر الذي هو ضد الشكر متعديًا بالباء في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، [النحل: 112].

3. التبرؤ

(قال شمر: ويكون الكفر أيضا بمعنى البراءة، كقول الله جل وعز حكاية عن الشيطان في خطبته إذا دخل النار: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، [إبراهيم: 22] أي: تبرأت)[30].

وهو بهذا المعنى يأتي متعديًا بالباء، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، [إبراهيم: 22].
- وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا(81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، [مريم: 81 - 82].

4. التغطية والستر

هذا هو المعنى الأشهر الذي اشتق منه العلماء لفظ الكفر، قال الكفوي: (كل شيء غطى شيئا فقد كفره، ومنه سمي الكافر، لأنه يستر نعم الله)[31].

وقال ابن دريد: (وأصل الكفر التغطية على الشيء والستر له، فكأن الكافر مغطى على قلبه، وأحسب أن لفظه لفظ فاعل في معنى مفعول)[32].

وقال الثعلبي في تفسيره: (والكفر: هو الجحود والإنكار. وأصله من الكَفْر وهو التغطية والسّتر، ومنه قيل للحَرَّاث: كافر، لأنه يستر البذر، قال الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، [الحديد: 20]: يعني الزرّاع، وقيل للبحر: كافر، ولليل: كافر)[33].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، [الحديد: 20].

(قال الأزهري: والعرب تقول: للزارع كافرًا، لأنه يكْفُرُ البَذْرَ الذي يبذره بتراب الأرض، ومنه قوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، أي الزُّرَّاعَ، وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية ما يُسْتَحْسَنُ، قال: وقيل: الكفار في هذه الآية الكفار بالله، وهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين)[34].

تعليق:

ربما يرجع اشتقاق الكافر - في الاصطلاح - إلى فعلهم وهيئتهم وصفتهم التي ذكرها القرآن الكريم عنهم، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾، [نوح: 7]. والاشتقاق واضح، فقد استغشوا ثيابهم، أي تَغَطَّوا بها؛ لئلا يسمعوا دعوة الإيمان.
- وقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا(100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، [الكهف: 100 - 101]. فقد جاء وصف الكافرين بأن أعينهم في غطاء عن ذكر الله تعالى.
- وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، [النساء: 155]. فجاء التعبير عن القلوب بأنها غُلف، يعني عليها أغشية وأغطية.

5. المحو والإزالة

هذا المعنى متفرع على المعنى السابق، ومنه تكفير الذنوب، وهو سترها وتغطيتها، أو محوها وإزالتها، قال الفيروز آبادي: (والتكفير: ستر الذنب وتغطيته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكتاب آمَنُواْ

واتقوا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، أي: سترناها حتى تصير كأَن لم تكن، أو يكون المعنى: نذهبها ونزيلها، من باب التمريض لإزالة المرض، والتقذية لإذهاب القذى، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، [هود: 114])[35].

وهو - في هذا التعريف - متابع للراغب الأصفهاني الذي قال: (والتكفير ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، ويصح أن يكون أصله إزالة الكفر والكفران، نحو التمريض في كونه إزالة للمرض، وتقذية العين في إزالة القذى عنه[ـا]، قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، [المائدة: 65])[36].

ومن الشواهد التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، [البقرة: 271].

ويمكن تدعيم الاشتقاق من هذا المعنى بما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟)، قالوا: لا يبقي من درنه شيئا. قال: ((«فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا»[37]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، [هود: 114].

ففي الحديث ذكر محو الخطايا وهو يقابل تكفير السيئات في الآية، فإذا كانت السيئات خطايا فلا شك أن التكفير محو، وفي الآية: إذهاب السيئات، أي محوها وإزالتها.

6. الفداء

هذا المعنى أشبه بالمعنى السابق عليه، لكن آثرت فصله عنه؛ لأسباب:

الأول: أن ذلك متعلق بتقديم فدية عن عمل عمله الإنسان، قولا أو فعلا، ككفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة القتل الخطأ، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾، [المائدة: 45].

- وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، [المائدة: 89].
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، [المائدة: 95].

الثاني: قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾، وقد فسر الطبري العدل في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾، [البقرة: 48]، فقال: (والعدل - في كلام العرب، بفتح العين – الفدية)[38]. وروى بسنده أنه قيل: يا رسول الله ما العدل؟ قال: (العدل: الفدية)[39].

كذلك وقعت كلمة (فدية) في سياق كهذا موقع كلمة (عدل) في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، [الحديد: 15].

الثالث: أن كلمة "فدية" قد وقعت موقع الكفارة في آيات أخرى، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، [البقرة: 183 - 184].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، [البقرة: 196].

والكفَّارة في الأصل صيغة مبالغة، ثم انتقلت من باب الصفات إلى باب الأسماء، قال ابن الأثير: (وتكرر ذكر الكفارة في الحديث اسما وفعلا، مفردا وجمعا، وهي عبارة عن الفعلة والخصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة، أي: تسترها وتمحوها، وهي فَعَّالة للمبالغة، كقتالة وضرَّابة، وهي من الصفات الغالبة في باب الاسمية)[40].

وقريب مما قاله ابن الأثير عن معنى الكفَّارة، قول الراغب الأصفهاني: (والكفارة: ما يغطي الإثم، ومنه كفارة اليمين، نحو قوله: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، وكذلك كفارة غيره من الآثام، ككفارة القتل والظهار، قال: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾) [41].

ولعل السمين الحلبي قصدهما بقوله: (وقيل: سميت كفارة لإزالتها الإثم، وفيهما (؟) نظر؛ من حيث إن الكفارة تجب فيما لا إثم فيه، وهو القتل خطأ) [42].

تعليق:

المصدر من الفعل المضعف (كفَّر) هو التكفير، وهذا المصدر لم يرد في القرآن الكريم، لكن جاء اسم المصدر (الكفَّارة) قائما مقام التكفير، قال الجوهري: (وتكفير اليمين: فعل ما يجب بالحنث فيها. والاسم الكفَّارة. والتكفير في المعاصي، كالإحباط في الثواب) [43].

ويدل الاسم كذلك على الأفعال التي من شأنها تكفير الذنوب، قال ابن الأثير: (وتكرر ذكر الكفَّارة في الحديث اسما وفعلا، مفردا وجمعا، وهي عبارة عن الفعلة والخصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة، أي: تسترها وتمحوها، وهي فَعَّالة للمبالغة، كقتالة وضرَّابة، وهي من الصفات الغالبة في باب الاسمية) [44].

7. العدوان والمحاربة

وهذا المعنى أيضا متفرع على معنى التغطية والستر، فإنه يقال: تكفر في سلاحه، والكافر والمُكَفَّر والمتكفِّر: الداخل في سلاحه، والتكفير: أن يتكفر المحارب في سلاحه.

واشتقاق اللفظ من معنى العدوان والمحاربة هو أحد المعاني التي حمل عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) [45]. قال ابن قتيبة: (وكان بعض المحدثين يذهب في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)؛ إلى التكفر في السلاح، يريد: ترجعوا بعد الولاية أعداء يتكفر بعضكم لبعض في الحرب) [46].

ويمكن تلمس هذا المعنى للفظ في الآيات التي تذكر القتال، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، [التوبة: 107]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، [النساء: 102]. ويمكن حمل اللفظ في الآية على "التورية"، وهذا يعطي المعنى صورة جميلة، حيث تُلمح المقابلة بين هؤلاء الذين قد تكفروا في أسلحتهم، ويتحينون من المؤمنين فرصة يغفلون فيها عن أسلحتهم ليميلوا عليهم بسلاحهم ويقتلوهم.

ويمكن حمل اللفظ في كثير من الآيات على "الاستخدام"، وهو لون من ألوان البديع، يقصد به - على ما عرفه بدر الدين بن مالك – (إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، ثم يأتي لفظ[ـان] يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر)[47].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾، [الأنفال: 15]. فالمقابلة بين (الذين آمنوا) و(الذين كفروا) تجعل المعنى من الكفر الذي هو ضد الإيمان، وكلمة (زحفا) تشير إلى معنى المحاربة والعدوان.

وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾، [النساء: 84]. فالمقابلة بين (المؤمنين) و(الذين كفروا) تجعل المعنى كذلك من الكفر الذي هو ضد الإيمان، بينما الألفاظ (فقاتل، وحرض، يكف، بأس، أشد بأسا، وأشد تنكيلا) تشير إلى معنى المحاربة والعدوان، وهذا يدعم إمكانية اشتقاق اللفظ من هذا المعنى.

8. العصيان

يقال: أَكْفَرَ الرجلُ مطيعَه: أحوجه أن يعصيه، وقال الأزهري: إذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته[48]. وقد قرن الله تعالى العصيان بالكفر والفسوق في مقابلة الإيمان، في قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، [الحجرات: 7].

وجمع بين المعصية والوصف بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، [البقرة: 34]. فإن إبليس لم يكن منكرًا لله تعالى، وإنما هذا كفر معصية.

وقد جمع بين الطغيان والكفر في آيات كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، [المائدة: 64، 68].

- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، [الكهف: 80].

قال السمين الحلبي: (وأصل الطغيان مجاوزة الحد في كل شيء، وغلب في تزايد العصيان)[49].

ومما يرجح ذلك أن الطغيان قد ناب عن الكفر في بعض السياقات القرآنية، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، [البقرة: 15].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، [يونس: 11].

قال الزجاج: (في غلوهم وكفرهم)[50]. وكذلك روى الطبري عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن معنى ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: في كفرهم[51]، وقال: (فمعنى قوله إذًا: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسُه، وعلاهم رِجْسُه، يترددون حيارى ضُلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا)[52].

9. الاستكبار

قد يبدو هذا المعنى بعيدًا، لكن من معاني التكفير: تتويج الملك بتاج إذا رُؤِي كُفِّرَ له، وهو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه قريبا من الركوع كما يفعل من يريد التعظيم، والتقارب الصوتي بين الباء والفاء - إذ كلاهما حرف شفوي - يدعم هذا المعنى، وصيغة تفعَّل من صيغ المطاوعة لصيغة فَعَّل، وربما صلحت تَكَفَّر هنا أن تكون مطاوعة لـ (كَفَّر)، ثم تصحفت إلى تكبَّر لقرب المخرج، وقد اقترن الكفر والاستكبار في آيات كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، [البقرة: 34]. وقوله تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، [الزمر: 59].

كما جاء الاستكبار نقيضًا للإيمان في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، [الأحقاف: 10].

10. الطِّيب

لم يأت دالا على هذا المعنى إلا لفظ واحد فقط، وهو الكافور، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، [الإنسان: 5]. وقد شك ابن دريد أن يكون هذا اللفظ عربيا، فقال: (فأما الكافور من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض)[53]. فإن كان عربيا، فوزنه فاعول، وإلا فلا اشتقاق له في لغة العرب، وإنما وافق وزنا من أوزانهم.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى بعض النتائج التي توصلت إليها، وهي:

1) لا تقتصر معاني الجذر "ك ف ر" على التغطية والستر، والجحود والإنكار، بل يتخرج منه في الاستخدام القرآني عشر دلالات، هي: نقيض الإيمان، والجحود والإنكار، والتبرؤ، والتغطية والستر، والمحو والإزالة، والفداء، والعدوان والمحاربة، والعصيان، والاستكبار، والطِّيب.
2) هناك لفظ واحد يتخرج من هذا الجذر مختلف في عربيته، وهو كافور، فإن كان عربيا فوزنه فاعول، وإلا فلا اشتقاق له في لغة العرب، وإنما وافق وزنا من أوزانهم.
3) جاء من هذا الجذر ثلاثة مصادر، وهي: الكُفْر، والكُفْرَان، والكُفُور، على خلاف في الأخير؛ إذ ذهب الأخفش إلى أنه جمع كُفْر، وقد ذهب الراغب إلى أن الكُفْران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكُفْر في الدين أكثر، والكُفُور فيهما جميعا.
4) ذهب الكفوي إلى أن الكفر ضد الإيمان يتعدى بالباء، وضد الشكر يتعدى بنفسه، ونوقش هذا الرأي بأنه حكم أغلبي، ويجوز خلافه؛ إذ جاء الاستعمال في بعض الآيات بخلاف ذلك، فجاء الكفر الذي هو نقيض الإيمان متعديًا بنفسه، كما جاء الكفر الذي هو نقيض الشكر متعديًا بالباء.
5) لم يأت من جموع السلامة إلا جمع المذكر، وجاء من جموع التكسير أربع كلمات، وهي: كُفَّار، وكَفَرَة، وكَوَافِر، وكُفُور، على خلاف في الأخيرة، وكلها صيغ تدل على جموع الكثرة، كما أنها جموع تذكير ما عدا "كوافر" فهي جمع "كافرة".
6) لم يأتِ من صيغ المبالغة من هذا الجذر إلا صيغتان فقط، هما: كَفَّار، وكَفُور، وذهب الأصفهاني إلى أن (الكَفَّار) أبلغ من (الكَفور)، واعترض عليه السمين الحلبي، وقد نوقش ذلك بأن الخطأ من السمين لا من الأصفهاني؛ لأن الأصفهاني كان يرمي إلى أن (الكَفَّار)

أُجْرِيَ في الآية مجرى (الكَفور)، فالكَفَّار - في ذلك السياق القرآني - أبلغ من حيث إنه لا يسمى به المؤمن كافر النعمة، بخلاف الكَفور للنعمة، فإنه يسمى به المؤمن والكافر.

7) رجحت الدراسة أن اشتقاق الكافر - اصطلاحا – جاء من فعلهم وهيئتهم وصفتهم التي ذكرها القرآن الكريم عنهم، كاستغشاء الثياب، ووصف أعينهم بأن عليها أغطية تحجبهم عن ذكر الله تعالى، ووصف قلوبهم بالغلف.

الهوامش

(1) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، 5/ 191.

(2) ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ/ 1979م، 4/ 187.

(3) انظر: الجوهري: أبو نصر، تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت، 2/ 807.

(4) الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان، ص: 434.

(5) انظر: الأصفهاني: السابق، ص: 435.

(6) الفيروز آبادي، مجد الدين: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، 1412هـ/ 1992م، 4/ 363.

(7) انظر: السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ/ 1996م، 3/ 407.

(8) انظر: الأصفهاني: المفردات، ص 434.

(9) الصنعاني، الأمير محمد بن إسماعيل: التنوير شرح الجامع الصغير، ت: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، ط 1، الرياض، 1432هـ/ 2011م، 4/ 48.

(10) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، ط 1، القاهرة، 1424هـ/ 2003م، 10/ 521، وانظر: 10/ 497.

(11) انظر: الكفوي، أبو البقاء: الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 741.

(12) انظر: الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي: ط 3، بيروت، 1420هـ، 23/ 248، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط 2، القاهرة، 1384هـ/ 1964م، 12/ 93، والأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 7/ 534.

(13) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1420هـ/ 2000م، 18/ 678.

(14) البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 11/ 472.

(15) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1422هـ، 3/ 472.

(16) ابن فارس: مقاييس اللغة، 5/ 191.

(17) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/ 187.

(18) الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2001م، 10/ 110.

(19) انظر: ابن منظور: أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، ط 3، بيروت، 1414هـ، 5/ 144.

(20) الكفوي: الكليات، ص267.

(21) الجوهري: الصحاح، 2/ 807.

(22) انظر: الجوهري: السابق.

(23) الأصفهاني: المفردات، ص: 434.

(24) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، 3/ 406، 407.

(25) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، 4/ 361.

(26) الكفوي، الكليات، ص: 763.

(27) الكفوي: الكليات، ص: 763.

(28) الطبري: تفسير الطبري، 15/ 367.

(29) الطبري: السابق نفسه.

(30) الأزهري: تهذيب اللغة، 10/ 111.

(31) الكفوي: الكليات، ص: 742.

(32) ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1987م، 2/ 786.

(33) الثعلبي، أبو إسحاق: تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1422هـ/ 2002م، 1/ 149.

(34) الواحدي، أبو الحسن: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، 1430هـ، 21/ 301، وانظر: الأزهري: تهذيب اللغة، 10/ 113.

(35) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز، 4/ 364، 365.

(36) الأصفهاني: المفردات، ص: 435.

(37) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم: 528، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.

(38) الطبري: تفسير الطبري، 1/ 34.

(39) الطبري: السابق نفسه.

(40) ابن الأثير: النهاية، 4/ 189.

(41) الأصفهاني: المفردات، ص: 435.

(42) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، 3/ 409.

(43) الجوهري: الصحاح، 2/ 808.

(44) ابن الأثير، النهاية، 4/ 189.

(45) ابن حجر، أبو الفضل: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 12/ 194، 13/ 27.

(46) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: غريب الحديث، ت: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط 1، بغداد، 1397هـ، 1/ 248.

(47) الحموي، ابن حجة: خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، 2004م، 1/ 119.

(48) انظر: الأزهري: تهذيب اللغة 10/ 110، وابن منظور: لسان العرب، 5/ 150.

(49) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، 2/ 406.

(50) الزجاج، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط 1، 1408هـ/ 1988م، ص: 91.

(51) الطبري: تفسير الطبري، 1/ 309.

(52) الطبري: السابق، 1/ 310.

(53) ابن دريد، الجمهرة، 2/ 786.

المراجع:

1) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

2) الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2001م.

3) الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

4) الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

5) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.

6) البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

7) الثعلبي، أبو إسحاق: تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1422هـ/ 2002م.

8) الجوهري، أبو نصر: تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

9) ابن حجر، أبو الفضل: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

10) الحموي، ابن حجة: خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، 2004م.

11) ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1987م.

12) الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط 3، بيروت، 1420هـ.

13) الزجاج، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط 1، 1408هـ/ 1988م.

14) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ/ 1996م.

15) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، ط 1، القاهرة، 1424هـ/ 2003م.

16) الصنعاني، الأمير محمد بن إسماعيل: التنوير شرح الجامع الصغير، ت: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، ط 1، الرياض، 1432هـ/ 2011م.

17) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

18) عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ.

19) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1422هـ.

20) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

21) الفيروز آبادي، مجد الدين: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1412هـ/ 1992م.

22) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: غريب الحديث، ت: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط 1، بغداد، 1397هـ.

23) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط 2، القاهرة، 1384هـ/ 1964م.

24) الكفوي، أبو البقا: الكليات، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

25) ابن منظور، أبو الفضل: لسان العرب، دار صادر، ط 3، بيروت، 1414هـ.

26) الواحدي، أبو الحسن: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، 1430هـ